

الفصل السابع

الإسلام برىء من صراع الطبقات

إن الله سبحانه وتعالى حينما حدد الصلة بين المسلم والمسلم قال :
(إنما المؤمنون إخوة) .

وهذه الأخوة بدأ ينفذها رسول الله ﷺ لأول عهده بالرسالة الإسلامية واستمر يتحدث عنها كلما سنحت الفرصة طيلة حياته .

ومن أحاديثه الشريفة التي تعتبر دررًا في المعالي السامية للأخلاق قوله ﷺ فيما رواه الشيخان . رضى الله عنها ، عن « أنس » رضى الله عنه :
« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

وفما رواه الشيخان عن « ابن عمر » رضى الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال :

« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرّج عن مسلم كربة ، فرّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » .

وفما رواه « الترمذى » عن « أبي هريرة » رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« المسلم أخو المسلم لا يبخونه ولا يكذبوه ولا يجذله ، كل المسلم على المسلم

حرام . عرضه وماله ودمه . التقوى هاهنا - وأشار إلى صدره - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم .

ويستفيض رسول الله ﷺ فيما ينبثق عن معاني « الأخوة » فيقول فيما رواه الشيخان عن « أبي موسى » رضی الله عنه :

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » .

ويقول فيما رواه الشيخان عن النعمان بن بشير رضی الله عنها :

« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

إن صلة المسلمين بعضهم ببعض صلة حب ومودة ورحمة وتعاطف ، وليس فيها من قرب أو من بعد صراع طبقات أو حث على صراع طبقات . وقد نزلت الرسالة الإسلامية رحمة للعالمين . بقول الله تعالى :

(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) .

إنها رسالة رحمة في أساليبها وأسسها . وهي رسالة رحمة في أهدافها وغاياتها ، فهل ترى في جو الرحمة موضعاً لصراع الطبقات ؟

إن مبدأ صراع الطبقات يتعارض تعارضاً تاماً مع مبادئ الإسلام ، وإن المذهب الذي يقوم على بعث الحقد والكراهية في نفوس العمال ضد أصحاب المشاريع ، وفي نفوس الأميين ضد المثقفين ، وفي نفوس العاطلين ضد العاملين ، والمذهب الذي يثير اضطراباً في جو العمل ، وفي جو الطلبة ، وفي جو النقابات ، إنما هو مذهب يتعارض جذرياً مع الجو الإسلامي ، ويتعارض جذرياً مع مصلحة الوطن .

ومع هذه البدهيات في الجو الإسلامي ، فإنه لا بد من بيان حقيقة سافرة

هي حقيقة الجهاد من أجل الوصول بالمجتمع إلى القمة التي عبر الله تعالى عنها بقوله :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) .

ومن أوصاف المؤمنين أنهم :

(الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله) .

وأحاديث رسول الله ﷺ في ذلك كثيرة موفورة نكتي منها بالحديث الشريف التالي :

عن ابن « مسعود » رضى الله عنه - فيما أخرجه الإمام مسلم - أن رسول الله ﷺ قال :

« ما من نبي بعثه الله في أمة قبل ، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون به ، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » .

هذا الجهاد هو جهاد الحق في مواجهة الباطل ، وهو جهاد الخير في مواجهة الشر ، وهو جهاد الفضيلة في مواجهة الرذيلة .

إنه جهاد في مجال العقيدة ، وهو جهاد في مجال الأخلاق ، وهو جهاد في

بمجال التشريع ، وهو جهاد في مجال نظام المجتمع ، وهو جهاد لتنفيذ الإسلام جملة وتفصيلا .

إنه جهاد يعبر رسول الله ﷺ عن العسك به بقوله الخالد :

« والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ، على أن أترك هذا الأمر ، ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

وهذا الجهاد إنما يقوم به على مر الزمن طائفة يعبر عنها رسول الله ﷺ بقوله

فيما رواه « عمر بن الخطاب » رضى الله عنه :

« لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » .

وفي رواية أخرى عن « جابر » رضى الله عنه فيما أخرجه مسلم :

« لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة » .

وفي رواية ثالثة فيما أخرجه البخارى ، ومسلم عن المغيرة بن شعبة رضى الله

عنه :

« لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون » وهذه

الأقوال بمعنى واحد :

إن جهادهم لله وفي سبيل الله ، يستمدون مبادئه من القرآن الكريم ، ومن

أقواله ﷺ . إنهم يستمدونها من إيمانهم بما أنزل الله تعالى على لسان خير

الرسل ، صاحب هذه الرسالة الخالدة الخاتمة .

وهم يصارعون الباطل أينما وجدوه : يصارعونه في العقيدة ، وفي كل

مذهب ماضى منحرف عن عقيدة الإسلام ، سواء تمثل في ماركس أو في لينين

المنكرين لوجود الله تعالى ، ويصارعون الباطل في كل المذاهب الأخلاقية التي

تتناق مع الإسلام سواء وجدت هذه المذاهب في الشرق أو في الغرب .

وهم يصارعون كل المذاهب الاقتصادية التي تهجم على المجتمع فتجرد جميع أفرادها من كل ما يملكون : عتاداً ومالاً . . . ، وكل ما اكتسبه الفرد بجهده وعرقه ، ولا تسمح له بمزاولة أى نشاط مالى حر .

وهم يستمسكون بالحق في وجه كل منحرف عن التشريع الإسلامى :
مدنياً كان هذا التشريع أو جنائياً .

وهذه الطائفة التي تقوم على الحق ، فيها الأثرياء والفقراء ، وفيها المثقفون في أى مكان كانوا والكتاب من مختلف الطبقات .

إن سمة هذه الطائفة الأصيلة نضالها في سبيل الحق .
وما كانت ثورة مولانا الإمام « الحسين » رضى الله عنه إلا ثورة العدالة في وجه الظلم ، وثورة الحق في وجه الباطل ، وما كانت قط صراع طبقات .

وبعد : فيقول رسول الله ﷺ :

« والله لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » .

ويقول الله تعالى :

(ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم) .